

المصدر: الأهرام
التاريخ: ٢٦ أغسطس ١٩٩٦

سياسة خارجية

ديبلوماسية بيرزنتية!

كانت صحيفة التايمز البريطانية أول من انتخبته إلى أن ما ورثته روسيا من الإمبراطورية البيزنطية لا يقتصر على انداء قيادة الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية ومن ثم زعامة الشعوب السلافية، وإنما اتسع الموروث الروسي من بيزنطة لتشمل أيضا أخطر التساؤلات البيزنطية وأكثرها ضرراً وهو الدبلوماسية المنقسمة على نفسها، التي تؤدي إلى عجز الدولة في مسوآجساسة الخطر الداهم أو الدبلوماسية البيزنطية بتعبير صحيفة التايمز.

ومع أن السياسة الروسية متخبطة في كل مبادئها تقريباً منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، فإن تخبطها أوضح مما يكون في الشيشان، فالرئيس يلتسين يراى، والجيش يراى آخر، ووزارة الداخلية يراى ثالث، ومجلس الأمن القومي له راي رابع. الخ. وبلغت الغوضى أو لنقل التفسخ في إرادة الدولة حد أن الرئيس يلتسين اصدر أكثر من مرة قرارات يوقف إطلاق النار لم تنفذ مطلقاً، أو انتهكتها القوات الروسية بعد سويعات من بدء سرياتها.

على هذه الخلفية، الخلفية البيزنطية، بدأ الجنرال الكسندر لبييد أو المخلص الموعود، لروسيا من أزمته الطاحنة مهمته لإيجاد حل للأزمة الشيشانية كمنبعوث شخصي للرئيس يلتسين، وكان من المنطقي تبعاً لذلك أن يطلب ويأخذ تفويضاً شاملاً حتى تتحدث روسيا مع المفاوضين الشيشان بصوت واحد. ويغض النظر عن المؤامرات المستمرة ضده داخل جبهتان الحكم في موسكو فإنه على ما يبدو نجح في وضع الخطوط العريضة لمشروع للتسوية يقبله الجانب الآخر من حيث المبدأ.

وكما يفهم من تصريحات فيكتور تشيرنوميردين رئيس الوزراء الروسي فإن المشروع يقوم على مبدئين رئيسيين: الأول منح الشعب الشيشاني حق تقرير المصير في استفتاء عام، والثاني إجراء هذا الاستفتاء بعد فترة انتقالية تستمر لمدة ٥ سنوات، وقد أعلن تشيرنوميردين - وهو بالمناسبة رجل يلتسين الأول - رفضه لأي تسوية تقوم على حق تقرير المصير، وهذا يعني العودة إلى الدبلوماسية البيزنطية، التي ستؤدي مثلما أدت في الماضي إلى بقاء الأزمة دون حل.

ومع ذلك ينبغي ألا تغفل احتمال أن يكون مشروع لبييد نفسه مجرد مناورة كبيرة الهدف منها هو مجرد وقف الحرب الشيشانية التي تخسر فيها روسيا كل يوم هيبتها وجنودها وأموالها القليلة حتى تتمكن موسكو من استجماع شتات إرابتها الضائعة بفضل الدبلوماسية البيزنطية تحت قيادة لبييد نفسه كخليفة مؤكد ليلتسين، ومن ثم توجه إلى حل الأزمة الشيشانية بأسلوب البتر، العسكري دون معارضة داخلية أو خارجية لسلطة روسية يأمل هو أن تكون أكثر حزماً وشباباً!

عبدالعظيم حماد